ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵜ ⵎⵃⵎⴷ ⴱⵏ ⵄⴱⴷⵍⵍⴰⵀ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵙⵉⴷⵉ ⵎⵓⵃⴰⵎⵎⴷ ⴱⵏ ⵄⴱⴷⵍⵍⴰⵀ
ⵜⴰⵢⵎⵓⵔⵜ ⵏ ⵜⵡⵔⵉⵔⵜ ⴰ ⵜⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵜⵉⵏⵙⴰⵏⵉⵢⵉⵏ
ⴼⴰⵙ - ⵙⴰⵢⵙ
Université Sidi Mohamed Ben Abdellah
Faculté des Lettres et des Sciences
Humaines Saïs –Fès
Pôle de Recherche : DCPC

المملكة المغربية
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس – فاس
قطب البحث : حوار الحضارات والتراث الثقافي

ورقة تقديمية عن الندوة الدولية:

المغرب وإفريقيا

المشترك الثقافي: الأصول والامتدادات

(فاس: 21–22 مارس 2018)

لم يكن المشترك الثقافي بين المغرب وإفريقيا وليد عوامل جديدة وتقاطعات معاصرة، فرضتها ظروف العصر القائمة على ضرورة العمل وفق تكتلات اجتماعية واقتصادية كبرى، وإنما ترجع أصول هذا المشترك إلى عصور قديمة، ففي عهد الدولة المرابطية التي نشأت في صحراء موريتانيا وسادت في شمال إفريقيا والأندلس ووصلت إلى السنغال ومالي وغيرهما، كانت للمغرب صلات ثقافية وإنسانية وثيقة مع شعوب إفريقيا، ولم تنقطع حركة التنقل عبر الصحراء منذ ذلك التاريخ إلى وقتنا الحالي، حيث ما فتئ المغرب يسعى لتعزيز الأخوة الدينية وتقوية أواصر العلاقات الإنسانية المشتركة التي تجمعه مع شعوب إفريقيا، وتوجت تلك الجهود بحدثين تاريخيين مهمين: الأول هو إلقاء خطاب المسيرة الخضراء التاريخي يوم 6 نونبر 2016 من العاصمة السنغالية دكار، بكل ما يحمله هذا الحدث من رمزية تؤكد عمق العلاقات المغربية الإفريقية. وأما الحدث الثاني فهو عودة المغرب للاتحاد الإفريقي، وما ستمثله هذه العودة من تقوية للروابط التي تجمع المغرب بشعوب القارة الإفريقية.

إن المشترك الثقافي بين المغرب وإفريقيا يتجاوز التفاعل الديني والروحي إلى جوانب أخرى اجتماعية واقتصادية وحضارية جديرة بالبحث والدراسة؛ إذ لم تكن رؤية المغرب لإفريقيا باعتبارها أرضاً للعيش المشترك أو التعاون المفترض أو التبادل المحتمل، أو حتى نوعاً من الدبلوماسية الناعمة في سياق التأطير الروحي والتوجيه الديني وتسويق النموذج الحضاري للمغرب وتعزيز مكانته وتحسين صورته لدى الآخر، وإنما ارتقى المغرب في علاقاته مع إفريقيا من نمط العلاقة التقليدية التي تجمع عادة بين الدول الصديقة، إلى نمطٍ من الصِّلات الإنسانية التي تجمع عادة بين الأشقاء؛ حيث تشيع قيم التضامن والتعاون والإخاء وبذل العطاء دون أي مقابل، ولعل من أبرز

طريق إيموزار، ص.ب 59. 30000. فاس Route Imouzzar, BP. 59. 30000. FES
فاكس 53 82 61 35 05 : Fax. هاتف 26 82 61 35 05 : Tél.
www.fls.usmba.ac.ma

تجليات هذا النمط من العلاقات المتميِّزة هو رعاية المغرب لمصالح الدول الإفريقية بتكوين طلابها ودعمهم وتأطيرهم وتتبع مساراتهم، وأيضاً باستقبال علماء تلك الدول وتكريمهم سواء بإلقاء بعض الدروس الحسنية، أم بعضوية مجلس العلماء الأفارقة، فضلاً عن إسهام المغرب ماديا في تحسين البنية التحتية لعدد من الدول الإفريقية بتشجيع المؤسسات الاقتصادية المغربية للاستثمار في تلك الدول وبإنشاء المساجد وإقامة المستشفيات وتوزيع آلاف النسخ من المصحف المحمدي وأطنان من الأدوية والحاجيات الغذائية...، وبناء عدد من المراكز الاجتماعية التي تستهدف خدمة الإنسان الإفريقي، مما أثَّر بشكل إيجابي على رؤية الأفارقة للمملكة المغربية، كما وسَّع هامش المشترك الثقافي والروحي بين المغرب والبلدان الإفريقية.

هكذا، يتبين أن المشترك الثقافي بين المغرب وإفريقيا له تجليات عديدة، وامتدادات مختلفة، تتجاوز البعد التنموي إلى أبعاد حضارية واعية بتحديات العصر وضرورة توحيد الجهود في سبيل رقي القارة الإفريقية وتحقيق ريادتها، فهي كنز العالم كما تسميها أدبيات الدراسات الاستراتيجية، ولذلك كان من الطبيعي أن يعمل المغرب على ترسيخ هذا المشترك وتوسيعه، وتوجيه البحث العلمي في سياق رصد تجليات الهوية المغربية في بعدها الإفريقي، لتأكيد قوة الانتماء لهذه القارة، وبعث نهضة ثقافية إفريقية مؤهلة للإسهام في الحضارة الإنسانية المعاصرة، واقتراح حلول لقضايا شائكة أهمها سبل القضاء على الفقر والإرهاب والتطرف وتحقيق الأمن والسلام...، لتوفير بيئة مناسبة للعيش الكريم ضمن عائلة إفريقية موحدة ومتضامنة.

لا يخفى أن العوامل التاريخية والجغرافية كان لها دور بارز في تعميق المشترك الثقافي بين المغرب وإفريقيا، فقد أسهمت الرحلات التجارية والعلمية في نقل الثقافات وتوسيع دائرة الخبرة والتجربة الإنسانية، ومن ذلك تأثر الطرق الصوفية الإفريقية بالشيوخ المغاربة وبالتجربة الدينية للمغرب، بثوابته القائمة على المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية وتصوف الإمام الجنيد، وانتشار الطرق والزوايا الصوفية المغربية ببعض الأصقاع الإفريقية، والاهتمام بتعلم اللغة العربية وإتقانها، وإتقان الخط العربي ونشره، واختيار المتون التي يحفظها الطلاب وخاصة «دلائل الخيرات» في الذكر الصوفي، و«مختصر خليل» في الفقه المالكي و«ألفية» ابن مالك في النحو، و«تفسير الجلالين»، وغيرها، والعناية بجمع المخطوطات العربية على اختلاف مشاربها المعرفية، وإنشاء الخزائن العلمية في عدد من الحواضر الإفريقية.

أما الرحلة في طلب العلم فقد كانت تتجه من دول إفريقيا إلى جامعة القرويين بفاس، ثم منها إلى باقي العواصم الإسلامية مثل القيروان والقاهرة والمدينة المنورة، حيث يعتبر المغرب الأقصى وجهة مفضلة للطلاب الأفارقة عبر التاريخ وإلى يومنا هذا، نظراً لما يجدونه في أرض المغرب من ظروف مثالية لطلب العلم وفرص كبيرة لنيل مرادهم في إشباع فضول العلم لديهم.

ويضاف إلى ذلك رحلات التجارة التي نقلت الحرف والمهن والخبرات عبر دول إفريقيا جنوب الصحراء، فأسهمت تجارة الذهب وتجارة العبيد إسهاماً كبيراً في تحريك دواليب الحركة التجارية بين المغرب الأقصى والدول المذكورة، وأصبح الزائر لهذه الشعوب يلحظ اليوم كثيراً من القواسم المشتركة بين المغرب وعدد من البلدان الإفريقية، الشيء الذي يؤكد إمكانية الوحدة وقدرة التعاون المشترك على تأسيس قوة ثقافية واقتصادية صاعدة يمكن أن تنافس أكبر اقتصاديات العالم وأكثرها تقدماً.

هكذا، تروم هذه الندوة الدولية رصد تجليات المشترك الثقافي المادي واللامادي بين المغرب وإفريقيا، وتتبع الأصول المُؤسِّسة لهذه العلاقات بالعودة للبدايات التاريخية الأولى التي جمعت المغرب ببعض دول إفريقيا ضمن سياقات مختلفة، كان من أبرزها العنصر الديني باعتباره وجها بارزاً للثقافة، واستحضار مجمل المراحل والتطورات التي عرفتها أنماط التواصل الثقافي والتعاون الدبلوماسي بين المغرب وإفريقيا، وصولاً إلى الفترة المعاصرة وما طَبَعها من دينامية جديدة في هذه العلاقات، أعادت للواجهة قوة المشترك الثقافي وامتداداته في السياق المعاصر، إلى جانب عمق الارتباط الوجودي الذي يجمع بلدنا المغرب مع شعوب إفريقيا والعالم. ولا شك أن امتدادات هذا المشترك الثقافي ومجالات حضوره وتأثيره واسعة وشاملة لكل مناحي الحياة الإنسانية وظروف العيش وآفاق المستقبل المشترك، ضمن قارة واحدةٍ وعالَمٍ لا يقبلُ الانزواء أو التقوقع أو العمل بعيداً عن وحدة الصف، ودون الانخراط في تجمعات ثقافية متآلفة تمهد لإقلاعٍ اقتصاديٍّ واجتماعيٍّ متوازنٍ وعابرٍ للحدود؛ بمعنى لا بد من رصد الإضافات المعرفية والمنهجية التي يتيحها بحث المشترك الثقافي بين المغرب وإفريقيا، بغية تثمينه وحمايته وإعادة الاعتبار له.

وهكذا ستنصبّ المحاورُ الكبرى للندوة الدولية: «**المغرب وإفريقيا، المشترك الثقافي: الأصول والامتدادات**» على جُملة من مجالات هذا المشترك وحقوله، نستحضر منها المحاور التالية:

- **دور الإسلام في تحقيق التقارب الروحي والثقافي بين المغرب وإفريقيا**
- **جهود إمارة المؤمنين في تعزيز المشترك الثقافي بين المغرب وإفريقيا**
- **جامعة القرويين وتخريج العلماء الأفارقة عبر التاريخ**
- **رحلات الحج والرحلات السفارية بين المغرب وإفريقيا: الأبعاد الثقافية**
- **الدبلوماسية الروحية بين المغرب ودول إفريقيا: الطرق والزوايا الصوفية**
- **العلاقات التجارية بين المغرب وإفريقيا:**
- **الفنون والآداب في إفريقيا والمغرب: قواسم مشتركة دالة على هوية واحدة**
- **الخزانات العلمية والمكتبات والمخطوطات في إفريقيا: الحضور الثقافي المغربي**
- **الهجرات المتبادلة للمغاربة والأفارقة: دور المشترك الثقافي في تحقيق الاندماج داخل المجتمعات المستقبلة للمهاجرين.**

إن هذه المحاور مجرد مقترحات أولية للبحث والدراسة، وهناك محاور أخرى للتأمل وتعميق النقاش حول المشترك الثقافي بين المغرب وإفريقيا، يمكن أن تشكّل مداخل ممكنة لتناول الموضوع من جوانب مهملة أو لا يتم الانتباه إليها إلا نادراً، خاصة وأن موضوع الندوة يمكن مقاربته انطلاقاً من مناهج متعددة وحقول معرفية متباينة إيماناً بدور تكامل المعرفة في فهم الظواهر العلمية وتفسيرها منطقيا، واقتراح رؤية عميقة للموضوع أكثر شمولية ودقة، إلى جانب تبادل الآراء بين الخبراء في المجال، للوصول إلى نتائج أكثر فعالية وذات مصداقية علمية، جديرة بالمناقشة والبحث والتداول، إسهاماً في انفتاح الجامعة المغربية على موضوعات جديدة لها صلة بالقضايا الكبرى للوطن وتُقدم خدمة للبحث العلمي من خلال هذا الانفتاح. والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

عن اللجنة المنظِّمة

ذ. محمد العمراني